بيت على الذروة

من رحلة في ريف بلادي

الى أصدقاء الشاعر
في صافيتا ، والمشتى

— ١ —

الريح تلفحني ،
تجر ورائي الصبح القتيلا
والشاطىء الملسوع، يركض عن يميني
أمواجه العطشى تدور ، تئن ،
ترقد في جبيني .
أمواجه الخرساء تستجدي مقيلا
ظلا ظليلا ..
وتمد لي زيتونة خضراء أجنحة سخيه
وتعربد الريح العتيه
حمراء تجلد بالحريق
ظهر الطريق ..
الشاطىء الملسوع يركض ، والكروم
في موجة صفراء من ضجر تعوم
وأخلف البلد الصغير (١) على زنـود الموج زفره
بيني وبين الذروة الخضراء
ميعاد .. وسكره .

— ٢ —

تل يغيب ..
وقمة تبدو ..
وواد كالخيال
كاللغـز ..
يزدحم السؤال به على شفة السؤال.
أبعيدة بين الهضاب
الشاردات مع الغيوم ؟
أبعيدة تلك التي
يدعونها : كرم النجوم ؟
الضيعة السحر التي
اختبأت وراء ضلوع ربوه
تسقي ، وتعصر
لا تمل عطاءها : كوبا ، ونشوه .
أنا ذلك الرهق الذي
يرتاح ، يهدأ في الجبال
في ظل صخر كالحقيقة
ضائع بين الظلال ..

---

(١) طرطوس .

الريف يغسلني
كالصدق يجعلني
حرا ، كهذي النسمة الوسنى
تغلغل في دمي ..
كالنبع ينشدني قصائده
الرطاب بلا فم ..
الريف .. لوكنا كهذا الغصن
أثقله الثمـر
يعطي ، ويسخر من ذكاء الحرص ،
من كرم البشر ..
الريف .. دعني للمـدى المتعـرج
المخضوضر
والشمس قافلتي
والشعر في زئتي
دعني لهذا الدرب ..
درب القمة المتكسر ..

— ٣ —

« الزورق الفضي .. » (١)
وانسحب المدى الساجي أمامي
وتدحرجت في الصدر نسمه
وبدا الغروب يلم خيطان اللهيب ،
ويستريح وراء قمه
ما أعذب الافق البعيد
نصب فيه مع الظلام
أحلامنا ، وعذابنـا
ونمد فيه شبابنـا

— ٤ —

تل يغيب ، وقمة تبدو ،
وأسأل من جديد :
أبعيدة تلك التي
تسقي على ظمأ نشيدي ؟
أم العيون الطافرات
هنا .. هنالك .. كالجنون
كقصيدة لم تنتظر
أبياتها سبك المتون
ويدور درب أخضر
مترنح ، متكسر

(١) حديقة صغيرة في صافيتا .

يعلو ، ليلثم فرع قمه
ويرده الوادي بضمه
يا نجمة الجبل القريبه
شبابتي ليست غريبه
لم يسكر الينبوع في الوادي
على أحلى وأندى ..
انا سقيناه الشباب ..
صبا — كما يهوى — ورصدا
انا زرعنا أمس زهو العمر
في هذي التلال
ليعانق الجمر المقدس فيه
أجنحة الظلال ..
وشددت من « نرجيلتي » نفسا عميقا
مرحا كضحكة طفلة ، غزلا ، طليقا
ونفضت عن عيني
وهج الشاطىء المسوع كله
البحر أحلى اذ تدحرجه
على قدمي تله
البحر أحلى .. من وراء الظن ،
من خلف السحاب
سكران ، يطفو من بعيد ،
ثم يغرق في الضباب
« الزورق الفضي .. »
وانهمرت بعيني النجوم
وشيا يغطي القبة الزرقاء ،
انغاما تعوم ..
حلو نسيم بلادي الخضراء ،
لو يدري النسيم ..
حلو .. وتوقظني من الرؤيا
شريطه « باديه » (١)
بيضاء مثل الحلم، تمرح في الذؤابات
القصار
وأزيح عن جفني نهاري
وأغيب خلف الليل ، خلف الغيم ،
فوق ذراع رؤيا ثانيه ..
انا .. وتضحك في دمي
عين .. تزقزق في الصخور
ويحط في « الغبيط » (٢)

(١) طفلة الشاعر .
(٢) نبع في المشتى .

ركب قصيدة .. ورذاذ نور ..

— ٥ —

انسامنا يا شاعري أحلى
على اكتاف ذروه
بيت .. على قدح ، وأغنية
بنيناه ، ونشوه
بيت عن الدنيا شرد
بغدائر الغيم انفرد
جيرانه : عصفورة ، وعريشة ،
ولهاث صخره ..
تضحى .. فتستبق الظلال تلفها
بأرق من عبق السماء تحفها
جيرانـه ..
ورمى صديقي في الفضاء الرحب نظرة
ووجدتني بين الصخور
الهاجعات على السكون
قدمين تائهتين ..
يسبقني الى الاعلى جنيني
يا نجمة الجبل القريبه
جئناك أغنيه خضيبه
مدي بساطك من نسيم
عطر كأقداحي كريم
جئنا نعب الكرم ، والوادي ،
ووشوشه الشجر
وصفاء عينيك اللتين
انسابتا نبعي سحر
نحن الظماء .. وان سقينا الناس
ألحان الحياة ..
نحن الرذاذ البكر ..
نحن تنفس الارض الموات
مدي بساطك من نغم
قرميد بيتك ، والالم
شيئان ضاعا من حياتي
ذابا بكأسي أغنيات
وبقيت شباكا على الوادي ،
على النعمى .. يطل
وقصيدة هي كل ما ترك
السراب لدي .. كل !

حلب — سليمان العيسى